مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 9 العدد 2 / ديسمبر 2023
ص ص 129–138

الدّرس الصّوتي العربي القديم وموقف المحدثين منه

The Ancient Arabic Phonetic Lesson and the Position of the Modernists

نورالدين مذكور
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، (الجزائر)، n.medkour@univ-setif2.dz

الاستلام: 2023/08/15 القبول: 2023/12/31 النشر: 2023/12/31

ملخص:

كان للّغويين العرب السّبق في الدّراسات الصّوتيّة، وهذا بشهادة الغربيين أنفسهم، وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم، والبداية كانت مع أبي الأسود الدّؤلي حين قام بوضع الشكل للقرآن الكريم، ثمّ جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فوصف جهاز النّطق، وتحدّث عن مخارج الحروف، ولم يتوسّل بالوسائل الحديثة، ثمّ جاء سيبويه وفرّق بين الحرف والصّوت، وكانت هذه البدايات الأولى للعناية بهذا العلم، ثمّ جاء ابن جنّي وتحدّث عن علم الأصوات في كتابيه: (سرّ صناعة الإعراب)، و(الخصائص)،

وفي العصر الحديث ظهر بعض اللّغويين الذين درسوا في الغرب وانبهروا بالدّراسات الغربيّة، فوقفوا موقف الناقد والجاحد لجهود علماء العرب، وأقحموا مسائل جديدة في دراساتهم، وهذه المسائل ليست من روح العربيّة، وعملنا في هذا المقال هو إظهار أصالة هذا العلم، وجهود اللّغويين العرب فيه لإبطال هذا الزيف وإحقاق الحقّ بأنّ علماءنا اجتهدوا، وما توصّلوا كان دون الاستعانة بالوسائل التي استعان بها المحدثون، وتبيين أنّ دراسة المقاطع التي تناولها المحدثون في دراساتهم لا تمتّ للعربية بصلة، وإنّما هي خاصّة بتقطيع الشّعر الفرنسي والإنجليزي.

الكلمات المفتاحية: علم الأصوات؛ الحرف؛ الصوت؛ المقطع.

Abstract:

The Arab linguists took precedence in the phonetic studies and this is the testimony of the Westerners themselves because it is related to the Holy Qur'an. And the beginning was with Abi Al-Aswad Al-Du'ali when he set the vowelization of the Holy Qur'an, then Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi came and described the articulatory system and he talked about the articulation, and he did not use the modern means, then Sibawayh came and differentiated between the letter and the sound; these were the first beginnings to take care of this science, then Ibn Jinni came and spoke about phonology in his two books: (The Secret of Parsing's Industry "Sir Sina'at Al-I'rab") and (The Characteristics "Al-Khasais"). In the modern era, some linguists who studied in the West appeared and were fascinated by Western studies, so they took the position of criticism and denial of the efforts of Arab scholars, and they inserted new issues into their studies and these issues are not from the spirit of Arabic. Our work in this article is to show the originality of this science, and the efforts of Arab linguists in it to invalidate this falsity and establish the truth that our scholars have worked hard, and what they reached was without the use of the means used by the moderns. It became clear that the study of syllables dealt with by the moderns in their studies had nothing to do with Arabic, but rather it is specific to cutting French and English poetry.

Keywords: phonology; letter; phoneme; syllable.

1.مقدمة:

أمر الله تعالى نبيّه محمد –صلّى الله عليه وسلّم- بترتيل القرآن الكريم، وترتيل القرآن يقتضي معرفة مخارج الأصوات، وصفاتها، وهذا ما دفع ببعض اللّغويين العرب إلى دراسة علم الأصوات. والدّراسة الصّوتيّة من العلوم الأصيلة عند العرب، لأنّها اتّصلت اتّصالا مباشرا بالقرآن الكريم وبالقراءات القرآنيّة، لكن ظهرت انتقادات كثيرة تطعن في العبقريّة العربيّة، وتقول بأنّ ظهور هذه العلوم يعود إلى التأثّر باليونان، وأخرى انبهرت بالدراسات الغربية، وقالت بأنّها الأحقّ بالاتّباع. ونحاول في هذا المقال إظهار أعمال اللّغويين العرب في الدراسة الصّوتية، ونقد بعض المسائل الصوتية التي حاول بعض اللغويين إدراجها ضمن الدراسة الصوتيّة العربيّة.

2. جهود علماء العرب الأوائل في الدّراسات الصّوتية:

عُني علماء العرب بخدمة اللّسان العربيّ منذ فجر الإسلام، وكان الدّافع إلى ذلك خدمة القرآن الكريم والحفاظ عليه من اللّحن والتحريف. فالنّبيّ محمّد -صلّى الله عليه وسلم-بُعث إلى النّاس كافّة، فبعد أن انتشر الإسلام في بلاد كثيرة مجاورة للجزيرة العربيّة، اختلط العرب بغيرهم ممّن دخل في الإسلام من فرس وروم... فبدأ اللحن يدخل اللّغة، ويفشو بين الناس، وقيل إنّ أوّل لحن سُجّل قول أحدهم هذه عصاتي.

وممّا يُروى أنّ أعرابيا سمع من يقرأ قوله تعالى:﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ...﴾، [التّوبة، 3]، يقرأ (رسولُه) الثّانية المرفوعة بالجرّ، فقال الأعرابي: إن كان الله برئ من رسوله فأنا منه بريء، فأخذه القارئ إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- فحكى الأعرابي قراءته، فعرف عمر أنّ الخطأ من القارئ، فأمر بتعليم العربية. (أبو حيّان، 1990، صفحة 06)

فقيّض الله لهذه اللّغة رجالا قاموا بجمع اللّغة وتقعيد القواعد في علوم شتى، لهذا كانت نشأة هذه العلوم لغاية دينية من قرّاء القرآن الكريم كأبي الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وصولا إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان عالما في علوم مختلفة كالمعجم والنحو وعلم الأصوات وعلم العروض، وتلميذه سيبويه، وغيرهم...

ومن العلوم التي تناولها القدماء بالدّراسة علم الأصوات، لعلاقته الوطيدة بالقرآن الكريم وترتيله. واللّغة في حقيقتها أصوات، يقول ابن جنّي في كتابه الخصائص عن اللّغة: "أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم." (ابن جني ع.، الخصائص، 1952، صفحة 33)

فالصّوت هو مادّة اللّغة الأولى في الدّراسة اللّغويّة، وكلّ أمّة تعتمد منهجا معيّنا في صوغ كلماتها من الأصوات التي ينتجها الجهاز النّطقي.

والدّراسة الصّوتيّة من العلوم الأصيلة عند العرب لأنّها اتّصلت اتّصالا مباشرا بتلاوة القرآن الكريم وبالقراءات القرآنيّة، فقام علماء العرب بدراسة اللّغة العربيّة دراسة صوتيّة وصفيّة سبقوا بها أمم الأرض، يقول برجستراسر: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلّا قومان العرب والهنود." (نورالدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، 1992، صفحة 06)

وقد بدأت الدّراسة الصّوتيّة عند العرب وصفيّة تعتمد على الملاحظة الذّاتيّة يُضاف إليها عبقريّة العالم.

وقد كان لعلمائنا جهود أقرّ بها الأعداء قبل الأصدقاء في هذا المجال من الدّرس اللّغويّ، ونعني به الدّراسة الصّوتيّة، وقد كان هدفهم في ذلك خدمة القرآن الكريم:

1.2. جهود أبي الأسود الدّؤلي:

ظالم بن عمرو (ت 69هـ)، وهو من العلماء العرب الذين اهتمّوا بالدّراسة الصّوتيّة وقد كان يعتمد على الملاحظة حيث كان يقول لكاتبه أثناء شكل القرآن الكريم:

(إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النّقطة من تحت الحرف). (نورالدين، علم وظائف الأصوات -الفونولوجيا-، 1992، صفحة 162)

2.2. جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ثمّ جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، ووضع كتاب العين، وقدّم في مقدّمة معجمه أوّل تصنيف للأصوات حسب موضع النّطق أو حسب المخارج (الفراهيدي، الصفحات 46-47) واستطاع أن يميّز بين الحروف الصّامتة والحروف الصّائتة (الفراهيدي، صفحة 53)، وهو الذي وضع الشّدّة وهمزة القطع وهمزة الوصل، ولقد ابتكر الخليل طريقة خاصّة في ترتيب موادّ معجمه العين، فقد اعتمد على مخارج الحروف فبدأ بالحلق لأنّه أبعد المخارج وانتهى إلى الشّفة. (أحمد ع.، 1987، صفحة 54)

وجعل ترتيب الحروف كما يلي: (ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ، ذ، ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي، همزة) (الفراهيدي، صفحة 42)

والخليل هو واضع علم العروض ولا يخفى على أحد علاقة العروض بالأصوات.

3.2. جهود سيبويه:

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، واصل طريق أستاذه وأبدع، وقام بدراسة صوتية في كتابه (الكتاب) الجزء الرّابع، في باب الإدغام. وترتيب الحروف عنده مخالف لترتيب الخليل: (ء، ا، هـ، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و) (سيبويه، صفحة 431)

ذهب إلى أنّ الحروف الأصول تسعة وعشرون حرفا، وهناك حروف فروع، بعضها مستحسن في قراءة القرآن مثل:

-النون الخفية (نون الإخفاء).
-الهمزة التي بين بين أأنت...
-الألف التي تمال إمالة شديدة (والضحى).
-الشّين التي كالجيم.
-الصّاد التي كالزّاي (مصدر-مزدر).
-ألف التّفخيم عند أهل الحجاز(الصّلاة).

وهناك حروف في لغة من تُرتضى لغته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن وهي:

-الكاف التي بين الجيم والكاف (كمل –جمل).
-الجيم التي كالكاف (رجل-ركل).
-الجيم التي كالشّين (اجتمعوا- اشتمعوا).
الضّاد الضّعيفة (أضرّ-أثرّ).

-الصّاد التي كالسّين (صابر-سابر).
-الطّاء التي كالتّاء (طال -ثال).
-الظّاء التي كالتّاء.
-الباء التي كالفاء.

وبهذا يكون عدد الأصوات عند سيبويه اثنين وأربعين صوتا.

وقد درس سيبويه في كتابه مخارج الحروف وعدّها ستة عشر مخرجا، وبدأها بالحلق (سيبويه، الصفحات 433-434)، وذكر الجهر والهمس، والشّدّة والرّخاوة، والإطباق والانفتاح، والتّكرير والإدغام... (سيبويه، الصفحات 434-436)

4.2. جهود ابن جنّي:

تناول عثمان بن جنّي (ت 392هـ)، بعض المسائل المتعلّقة بالدّراسات الصّوتيّة في كتابيه الخصائص، وسرّ صناعة الإعراب.

ففي كتاب الخصائص بعض المسائل الصّوتيّة منها ما أورده في الجزء الثّاني في باب السّاكن والمتحرّك (ابن جني ع.، الخصائص، 1952، صفحة 328)، يقول بأنّ أوّل الكلمة لا يكون إلّا متحرّكا وينبغي لآخرها أن يكون ساكنا، ثمّ يأتي ببعض الأمور الصّوتيّة الشّاذة، وهذا ما يدلّ على فطنته، يقول: فقد نجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت وهو مع ذلك ساكن، وهو الفاء والتّاء والسّين والصّاد ونحو ذلك، نقول في الوقف (افْ، اتْ، اسْ، اصْ) (ابن جني ع.، الخصائص، 1952، صفحة 328)

كما تناول في كتابه الخصائص نشأة اللّغات والأصوات العربيّة، وعلاقة معاني الكلم بأصواتها، وأهمّ ما جاء في الخصائص:

-انطلق ابن جنّي من منطلق وصف البنية اللّغويّة، فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألّف الكلمات منها، وسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمة، فبحث في الاشتقاق وأنواعه، ودرس التّقليبات الممكنة وأفضى ذلك به إلى القول بوجود علاقة مناسبة طبيعيّة بين الصّوت والمدلول (ابن جني ع.، الخصائص، 1952، صفحة 152)

أمّا في كتابه سرّ صناعة الإعراب فقد خصّص مقدّمته للتّعريف بالصّوت وعلم الأصوات، ثمّ خصّص لكلّ حرف بابا من أبواب الكتاب.

وقد شبّه الجهاز الصّوتي مرّة بالناي أثناء النّفخ فيه، ومرّة بالعود (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 21) يقول: "ونظير ذلك أيضا وتر العود، فإنّ الضّارب إذا ضربه وهو مرسل، سمعت له صوتا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدّى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا، سمعت غير الاثنين، ثمّ كذلك كلّما أدنى أصبعه من أوّل الوتر تشكّلت لك أصداء مختلفة." (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 22)

وقد ذكر معنى الصّوت والحرف والحركة:

-"والصّوت مصدر صات الشّيء يصوت صوتا، فهو صائت، وصوّت تصويتا فهو مصوّت، وهو عامّ غير مختصّ، يقال سمعت صوت الرّجل وصوت حمار، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾، [لقمان، 18]" (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 23)

-"والحرف مادّة (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يُراد بها حدّ الشّيء وحدّته" (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 28)

-والحركات عند ابن جنّي هي أبعاض حروف المدّ واللّين، وهي: الألف والياء والواو، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضّمّة بعض الواو. (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 33)

وحروف المعجم عند ابن جنّي تسعة وعشرون حرفا (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 55)، أمّا ترتيبها فيختلف عن ترتيب الخليل وسيبويه، وهي كما يلي:

(ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و)

ويقول ابن جنّي عن هذا التّرتيب: "فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعّدها، وهو الصّحيح، أمّا ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدّمناه آنفا، ممّا رتّبه سيبويه" (ابن جني ع.، سر صناعة الإعراب، 2000، صفحة 59)

وقد كان لعلماء القراءات والتجويد دور في الدّراسات الصّوتيّة، فتحدّثوا عن مخارج الحروف وصفاتها، مثل ابن الجزري، في كتابه متن الجزريّة.

إنّ علماء اللّغة القدماء، وعلماء التّجويد قد استطاعوا بالملاحظة فقط أن يصلوا إلى وصف دقيق للأصوات العربية دون أن يكون لهم الوسائل الحديثة، فقد بيّنوا مخارج الحروف وصفاتها...وما توصّلوا إليه من نتائج لم يخالفهم فيها العلم الحديث الذي استعان بالوسائل المختلفة.

لكنّ هناك طعونا كثيرة وُجّهت للقدماء تشكّ في أصالة هذه العلوم، وتعزوها إلى التّأثّر بالهنود واليونان...بل هناك من خطّأهم في مسائل كثيرة من حيث مخارج الحروف، وصفاتها، وترتيبها، وعددها...

سنذكر بعض هذه الانتقادات التي وُجّهت للقدماء:

3. الاختلافات بين القدماء والمحدثين:

1.3 -مخارج الحروف:

يرى الخليل أنّ الهمزة تخرج من أقصى الحلق (الفراهيدي، صفحة 47)، ويقول في موضع آخر إنّها تخرج من الجوف، قال: "وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف الليّنة والهمزة، وسُمّيت جوفا لأنّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللّسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللّهاة، إنّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلّا الجوف " (الفراهيدي، صفحة 52)

ويرى سيبويه أنّ الهمزة تخرج من الحلق، قال: "فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف." (سيبويه، صفحة 433)، وحين ذكر الحروف المجهورة بدأها بالهمزة. (سيبويه، صفحة 434)

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنّ ما ذهب إليه الخليل وسيبويه يختلف مع رأي المحدثين في أمرين:

- المحدثون وصفوا الهمزة بالهمس، وينفون عنها الجهر، وهذا تبعا للأوروبيين (جبل، 2008، صفحة 57).
- عدم التّفريق بين الهمزة والألف.

لكن يقول أحمد مختار عمر بأنّ التسجيلات الطّيفيّة الحديثة للهمزة قد أظهرتها بصور متنوّعة، وصوتا غير مستقرّ، لا يأخذ شكلا معيّنا محدّدا، وصوتا شبيها بالعلّة في بعض السّياقات، فكيف ننتظر من القدماء بملاحظاتهم البسيطة أن يصلوا إلى أوجه الصّواب فيها. (أحمد مختار، 1991، صفحة 346)، والمعلوم أنّ متقدّمي علمائنا كانوا يحصّلون معلوماتهم الصّوتيّة بمنهج الذّوق، وأنّ المحدثين يستعملون أجهزة متنوّعة (جبل، 2008، صفحة 52).

إضافة إلى ما يعتري الهمزة من إبدال وحذف، وتسهيل بين بين وغيرها ممّا هو موجود في كتب الصّرف والقراءات. (أحمد مختار، 1991، صفحة 346)

2.3 -الاختلاف في ترتيب المخارج:

بدأ الخليل بن أحمد حين درس مخارج الحروف من أبعد مخرج، وهو أقصى الحلق الذي تخرج منه: العين ثمّ الحاء، ثمّ الهاء، ثمّ الخاء والغين، ثمّ القاف والكاف لهويتان، ثمّ الجيم والشّين والضّاد شجريّة، ثمّ الصّاد والسّين والزاء أسليّة، ثمّ الطّاء والدّال والتّاء نطعيّة، ثمّ الظّاء والذّال والثّاء لثويّة، ثمّ الرّاء واللام والنّون ذلقيه، ثمّ الفاء والباء والميم شفويّة، والياء والواو والألف والهمزة هوائيّة. (الفراهيدي، الصفحات 53-54)

لكن أحمد مختار بدأ بالشّفتين، ثمّ الشّفة السّفلى مع الأسنان العليا، ثمّ الأسنان مع حدّ اللّسان، ثمّ الأسنان واللّثة مع حدّ اللسان وطرفه، ثمّ اللّثة مع طرف اللسان، ثمّ الغار مع مقدّم اللّسان، ثمّ الطبق اللّين مع مؤخّر اللّهاة مع مؤخّر اللّسان، ثمّ الحلق مع جذر اللّسان، ثمّ تجويف الحنجرة (فتحة المزمار). (أحمد مختار، 1991، الصفحات 315-319)

3.3. المسألة الثّانية إقحام اللّغويين المحدثين للمقاطع في دراساتهم الصّوتيّة، وسنذكر ما قالوا في ذلك:

المقطع: syllabe:

هو نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية، وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم. (نورالدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، 1992، صفحة 190)

وقال بعض اللّغويين بأنّ المقطع قسمان:

- المقطع المفتوح: ويُسمّى كذلك المتحرّك وهو المقطع المنتهي بصائت طويل أو قصير.
- المقطع المغلق: ويسمّى أيضا المقفول أو الساكن وهو المقطع المنتهي بصامت.

أنواع المقاطع:

أ. مقطع قصير مفتوح: مثل الكاف وحركتها /كَ/ في كلمة كتب، ويتكوّن هذا المقطع من:

صامت	+	صائت قصير
حرف الكاف ك	+	حركة حرف الكاف الفتحة ـَـــ

ب. مقطع طويل مفتوح: مثل الكاف والألف /كا/ من كلمة كاتب، ويتكوّن هذا المقطع من:

صامت	+	صائت طويل
حرف الكاف ك	+	الألف الممدودة ـا

ت. مقطع طويل مقفل: مثل كمْ بفتح الكاف وسكون الميم، ويتكوّن هذا المقطع من:

صامت	+	صائت قصير	+	صامت
حرف الكاف ك	+	حركة حرف الكاف الفتحة ـَـــ	+	حرف الميم الساكن مْ

ث. مقطع مديد مقفل بصامت: مثل الوقوف على الفعل عادْ، ويتكوّن هذا المقطع من:

صامت	+	صائت طويل	+	صامت
حرف العين ع	+	حرف الألف ا	+	حرف الدّال السّاكن عند الوقف دْ

ج. مقطع مديد مقفل بصامتين: ومثال ذلك كالوقوف على كلمة بحر، ويتكوّن هذا المقطع من:

صامت	+	صامت قصير	+	صامتين
حرف الباء ب	+	حركة حرف الباء الفتحة ـَـــ	+	حرف الحاء السّاكن وحرف الرّاء

				السّاكن للوقف حْ+رْ

والملاحظ أن اللّغويين المحدثين لم يتّفقوا على عدد المقاطع في العربيّة، فبعضهم يعدّها أربعة كمحمّد خليفة الأسود (الأسود، 1425، صفحة 106) ، وبعضهم يعدّها خمسة كأحمد مختار عمر (أحمد مختار، 1991، صفحة 307)، ورمضان عبد التّواب ((رمضان، 1997، صفحة 95)، وعصام نورالدّين (نورالدين، علم وظائف الأصوات -الفونولوجيا-، 1992، صفحة 95)، ومحمّد علي عبد الكريم الرّديني (الرّديني، 2007، صفحة 177)، ويعدّها كلّ من تمّام حسان (حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، 1998، صفحة 69) ومحمّد الأنطاكي (الأنطاكي، الصفحات 21-22)، ومحمّد حسن حسن جبل (جبل، 2008، الصفحات 168-169) ستّة.

حقيقة المقطع:

والمقطع والتّقطيع ظاهرة غريبة عن روح لغتنا، وهي من ثمرات الدّرس الصّوتي الحديث عند الغربيين (جبل، 2008، صفحة 166)، ويرجع ظهوره إلى الإغريق القدامى، ولكنّ بعضهم يريد إلصاقها بالعربية، رغم ضآلة جدواها في العربية بالنّسبة لما عند الأوروبيين (جبل، 2008، صفحة 166) .

كما حاولوا إدراج النّبر في الدّراسات الصّوتيّة العربيّة، يقول محمّد حسن حسن جبل في هذا الصّدد: "واللّغة العربيّة ليست لغة مقطعيّة، والنّبر الّذي من أهداف دراسة المقاطع تحديد مواقعه-ليست له في العربيّة دلالة مقنّنة -بعكس

الحال في اللّغات المقطعيّة." (جبل، 2008، صفحة 167)

فما هو دور المقطع في اللّغات الأجنبيّة كالفرنسية والإنجليزية؟

- يلجأ الفرنسيون إلى تقطيع الكلمة لمساعدة المتعلّمين على نطقها، فيبدأون بالكلمة ثمّ يصلون إلى المقطع، مثل: mai son، فعمليّة التقطيع عندهم تسهّل لمتعلّميهم إدراك مكوّنات الكلمة.
- في الفرنسية المقطع يُسمّى syllabe وهو خاصّ بأوزان الشّعر عندهم، وكلّ بيت يتكوّن من اثني عشر مقطعا(12)، أو عشرة مقاطع (10) ...

ولو أخذنا نوعا من الشّعر الذّي يسمّى: ألكسندران alexandrin وهو يتكوّن من أربعة أبيات شعريّة، مثل هذه الأبيات الشّعرية للشّاعر الفرنسي ألفريد دو ميسسي (ت 1857م) alfred de musset

(https://agora.qc.ca/documents/Tristesse--Lettre_a_M_de_Lamartine_extraits_par_Alfred_de_Musset، بلا تاريخ)

Poète, je t'écris pour te dire que j'aime,
Qu'un rayon du soleil est tombé jusqu'à moi,
Et qu'en un jour de deuil et de douleur suprême,
Les pleurs que je versais m'ont fait penser à toi.

فتقطيعها يكون:

Po/éte,/ je/ t'é/cris/ pour/ te/ di/re/ que/ j'ai/me/, 12
Qu'un/ ra/yon/ du/ so/leil/ est/ tom/bé/ jusqu/'à/ moi, 12
Et /qu'en/ un/ jour/ de/ deuil /et/ de/ dou/leur/ sup/rême,/ 12
Les/ pleurs/ que/ je/ ver/sais/ m'ont/ fait/ pen/ser/ à/ toi/ 12

الملاحظ بعد التّقطيع أنّ كلّ بيت يتكوّن من اثني عشر 12 مقطعا، وهذه طبيعة شعرهم الفرنسي.

ومثال آخر على أبيات يتكوّن كلّ بيت منها من عشرة 10مقاطع، أبيات للشّاعر الفرنسي: پول فارلان Paul Verlaine: (https://www.poetica.fr/poeme/paul-verlaine-colloque-sentimental/، 2023)

Dans le vieux parc solitaire et glacé
Deux forms ont tout à l'heure passé

Leurs yeux sont morts et leurs lèvres sont molles
Et l'on entend à peine leurs paroles

فتقطيعها يكون كما يلي:

Dans/ le/ vieux/ parc/ so/li/taire/ et/ gla/cé/ 10
Deux/ for/mes/ ont/ tout/ à/ l'heu/re/ pa/ssé/ 10

Leurs/ yeux/ sont/ morts/ et/ leurs/ lè/vres/ sont/ molles/ 10

Et/ l'on/ en/tend/ à/ peine/ leurs/
pa/ro/les/ 10

ومثال آخر على أبيات يتكوّن كلّ بيت منها من تسعة 9 مقاطع، أبيات للشّاعر الفرنسي: پول فارلان Paul Verlaine، (https://www.poetica.fr/poeme/paul-verlaine-colloque-sentimental/، 2023)

De la musique avant toute chose,
Et pour cela préfère l'Impair
Plus vague et plus soluble dans l'air
Sans rien en lui qui pèse ou qui pose

ويكون تقطيعها كما يلي:

De/ la/ mu/sique/ a/vant/ toute/ cho/se/9
Et/ pour/ ce/la/ pré/fè/re/ l'Im/pair/9
Plus/ vague/ et/ plus/ so/lu/ble/ dans/ l'air/9
Sans/ rien/ en/ lui/ qui/ pèse/ ou/ qui/ pose/9

فلمَ يحاول هؤلاء المحدثون إخضاع العربيّة لهذه الظّاهرة؟ وصاروا يطالبون بتقطيع النّصوص، وحتّى آي القرآن الكريم لم تسلم من ذلك؟

والله تعالى نفى أن يكون القرآن شعرا، قال: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾، [يس، 69]، وقال كذلك:﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُومِنُونَ﴾، [الحاقّة، 41]، ولكنّ هؤلاء صاروا يقطّعونه كالشّعر الأجنبيّ.

لكن السّؤال الذي يُطرح، ألم يعرف العرب هذا النّوع من التقطيع الخاصّ بالشّعر؟

لقد عرفوه قديما مع الخليل بن أحمد الفراهيدي، الّذي توصّل إلى اكتشاف أوزان الشّعر العروبيّ، بفضل حسّه المرهف، وأذنه الموسيقيّة، حين كان يستمع إلى الأصوات الّتي يحدثها أصحاب الحرف، ووضع علم العروض وسمّى البحور الشّعريّة، ووضع التّفعيلات، والجوازات من زحاف وعلل... وأرشد إلى التّقطيع، لكن التّقطيع عندنا يقوم على الحركة والسّكون فقط.

4. خاتمة:

نخلص من خلال هذا العرض إلى أنّ اللّغويين العرب قد أشبعوا ميدان علم الأصوات بحثا، وتمحيصا، وتأليفا، ولا أدلّ على ذلك من شهادة المستشرقين، وتوصّلوا إلى نتائج دقيقة دون أن تكون له الوسائل الحديثة التي استعان بها المحدثون لمعرفة مخارج الحروف، وصفاتها... وينبغي علينا ألّا نجحد هذه الجهود، ونوليها ظهورنا، ونميل كلّ الميل إلى الدّراسات الغربية، ونزعم بأنّها الأصوب، والأحقّ بالدّراسة. كما يجب علينا أن نكون حذيرين في دراستنا للدراسات الصوتيّة الغربية، فلكلّ لغة خصائص، وما يصلح مع لغة ليس بالضّرورة صالحا مع غيرها من اللّغات، وعلينا ألّا نقحم دراسات غريبة عن روح العربية، كدراسة المقطع.

5. قائمة المراجع:

-أحمد عبد الغفور عطّار(1987)، مقدّمة الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ت: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، (ط4)، بيروت، لبنان.

-أحمد مختار عمر، (1991)، دراسة الصوت اللغويّ، عالم الكتب، (د ط)، القاهرة، مصر.

-أبو حيّان الأندلسي، (1990)، التفسير الكبير المسمّى بالبحر المحيط، دار إحياء التراث العربيّ، (د ط)، بيروت، لبنان.

-تمّام حسّان، (1998)، اللّغة العربية معناه ومبناها، عالم الكتب، (ط3)، القاهرة، مصر.

- مهدي المخزومي، وإبراهيم السّامرائي، ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تصحيح: أسعد الطيّب، دار المعيد للطّباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، بيروت، لبنان.

-رمضان عبد التّواب، (1997)، التّطوّر اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، (ط3)، القاهرة، مصر.

-سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (د ط)، بيروت، لبنان.

-أبو الفتح عثمان بن جنّي، (1952)، الخصائص، ت: محمّد علي النجّار، المكتبة العلميّة، (د ط)، مصر.

-أبو الفتح عثمان بن جنّي، (2000)، سرّ صناعة الإعراب، ت: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، ت: أحمد رشدي شحاتة عمر، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، (د ط)، بيروت، لبنان.

-محمّد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها، دار المشرق العربيّ، (د ط)، بيروت، لبنان.

-محمّد حسن حسن جبل، (2008)، المختصر في أصوات اللغة العربية-دراسة نظريّة تطبيقية-، مكتبة الآداب، (ط5)، القاهرة، مصر.

-محمّد خليفة الأسود، (1425م تقويم ليبي)، التّمهيد في علم اللّغة، منشورات جامعة السّابع من أبريل، (ط2)، الزّاوية، ليبيا.

-محمّد علي عبد الكريم الرّديني، (2007)، فصول في علم اللّغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

-نورالدين عصام، (1992)، علم وظائف الأصوات-الفونولوجيا-دار الفكر اللّبناني، (ط1)، بيروت، لبنان.

-نورالدين عصام، (1992)، علم الأصوات اللّغويّة -الفونيتيكا-دار الفكر اللبناني، (ط1)، بيروت، لبنان.

-https://agora.qc.ca/documents/Tristesse--Lettre_a_M_de_Lamartine_extraits_par_Alfred_de_Musset تاريخ الدخول 2023/06/15

-https://www.poetica.fr/poeme/paul-verlaine-colloque-sentimental تاريخ الدخول: 2023/06/15